الفصل الثالث

مفهوم السيمانتيك وتاريخه

ما هو السيمانتيك :

السيمانتيك هو علم الدلالة ، أو علم المعنى ، وهو فرع من فروع علم اللغة . ويعتبر من أحدث الدراسات اللغوية ظهوراً على وجه العموم . ويدرس اللغة من حيث دلالتها أى من حيث أنها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر .

وبالرغم من أن الدراسات اللغوية كانت قاصرة على اللغويين . إلا أن موضوع المعنى قد تناوله بالبحث علماء ومفكرون من ميادين مختلفة كالفلاسفة والمناطقة، وعلماء النفس والاجتماع ، والانثروبولوچيا ، وعلماء السياسة والاقتصاد ، والأدباء ، والفنانين ، وعلماء الدراسات الطبعية .

ولهذا ، كان اسم هذا العلم موضع خلاف فى اللغات المختلفة فأطلقوا عليه :

السيماتولوچى Sematology ؛ والسيمولوچى Semology ؛ والسيماسيولوچى Semasiology ؛ والسيمانتم Semanteme ؛ والسيمم Sememe ؛ والسيم Séme ؛ والسيمانتيك Semantics .

إلا أنه بالرغم من هذا الخلط الواضح فى استخدام المصطلحات التى أطلقت على هذا العلم ، فقد استطاع علم الدلالة أن يشق طريقه فى التطور من أفكاره الأولى التى قامت على أساس تاريخى لا وصفى .

والواقع أن علم الدلالة التاريخى يدرس تغير المعنى من عصر إلى عصر ، وأن علم الدلالة الوصفى يدرس المعنى فى مرحلة معينة من مراحل تاريخ اللغة . والأول يدور حول التغيرات المعنوية ؛ والثانى حول العلاقات المعنوية .

obeikandl.com

نشأة السيمانتيك

نشأ المصطلح سيمانتيك Semantics من الكلمة اليونانية « سيمانين Semanein » ويقصد بها المعنى والدلالة .

وقد وجد هذا المصطلح فى دراسات الفلاسفة القدامى ، حيث استخدمه أرسطو كصفة من الصفات اليونانية بمعنى دال Significant .

وتعتبر دراسة ميشيل بريال Bréal أول دراسة علمية حديثة فى موضوع المعنى . حيث أن هذا العالم الفرنسى هو أول من أطلق على هذا العلم اسم السيمانتيك La Sémantique أى علم الدلالة ، الذى يشتق من الفعل « يدل على » .

ويلاحظ أن هناك اختلافا واضحا بين هذا العلم ، والفونتيك La Phonétique أى علم الصوت ـ كما أوضحنا فيما سبق .

وهكذا ، فإن بريال Bréal قد أطلق على هذا النوع من الدراسة اسما يميزها عن سائر الدراسات اللغوية الأخرى .

وقد استقى بريال المبادىء والأصول الخاصة بهذا العلم ، من دراسات اللغات الكلاسيكية وهى : اليونانية ، واللاتينية ، والسنسكريتية .

وقد رأى أن تغير المعنى يعتمد على خصائص عقلية مجردة مثل «الحاجة إلى الوضوح » .

إلا أن بريال « ومن بعده » لم يهتموا بالجانب الاجتماعى وغير الاجتماعى للظروف الإنسانية التى يحدث فيها تغير المعنى . وكانت لدراسته أثر كبير فى لفت أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى وتغيره محاولين دراسة الظروف الخارجية التى تؤدى إلى مثل هذا التغير الذى يحدث فى تاريخ الكلمات .

ولكن لم يلبث هذا المصطلح أن انتقل إلى اللغة الانجليزية مترجماً بالكلمة سيمانتيك Semantics . إلا أن هذا المصطلح الانجليزى قد تعرض للغموض ، ولذلك استبدل به المصطلح القديم سيماسيولوجى Semasiology . غير أن المصطلح سيمانتيك Semantics نظرا لخفته فى النطق ، قد عم انتشاره بدرجة أكبر .

ثم فى السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن، تناول الفلاسفة البولنديون المصطلح Semantics فى علم المنطق الرمزى Symbolic Iogic وقصدوا به البحث فى الرموز ومعانيها .

وقد تناول أوجدن وريتشارد Ogden & Richards دراسة المعنى وما تتصف به طبيعة هذه المشكلة من تعقيد . وقام تفسيرهما على أساس رياضى آلى . وبين أوجدن Ogden فى بحثه « الانجليزية الأساسية Basic English » أنه من الممكن الاستغناء عن بعض الأفعال فى اللغة الانجليزية ، وعن بعض الكلمات كالمترادفات ؛ وبالتالى الاقتصاد فى الثروة اللفظية بقصد تسهيل التفاهم بين الأفراد من حيث التركيز على عدد معين من الكلمات ذات المعانى الدقيقة المحدودة .

ويرى أن عددا محدودا من الكلمات التى تتميز بوضوح المعنى ، لهى خير بكثير من آلاف الكلمات ذات المدلولات الغامضة .

ثم ظهرت فى الولايات المتحدة حركة تسمى « السيمانتية العامة general semantics » . زعيمها الكونت البولندى الفرد كورزبسكى Korzybski .

وتهدف هذه الحركة إلى تخليص الفكر الإنسانى من المغالطات اللغوية ؛ حيث وجد كورزبسكى أن اللغة تعكس أحداث العالم الخارجى فقط وبصورة غير كاملة ؛ حيث توجد هوة تفصل العالم عن الأشياء التى توجد فيه .

والفرد يمكنه إيجاد نمط من الاتصالات بينه وبين الآخرين عن طريقه تنتقل المعانى سواء أكان ذلك فى مجال العلم ، أم الصحة النفسية ، أم الهندسة .

ويرى كورزبسكى أن المشكلات الاجتماعية عند الأفراد تنتج من استخدامهم لمصطلحات غامضة كثيرة، تتداخل مع انفعالاتهم تداخلا ينتج عنه اختلاط استجاباتهم الدلالية بدرجة كبرى .

كما أن انحرافات سلوك الأفراد ترجع إلى ردود أفعال عصبية ـ دلالية neuro-semantic reactions ؛ وأن حل هذه المشكلات الاجتماعية يتوقف على مقدار استعمال الرموز استعمالا صحيحاً لا لبس فيه .

وهكذا ، فقد تضمنت دراسات كورزبسكى والمشتغلين من بعده فى ميدان السيمانتية العامة ، المجال الكلى للعلاقات الإنسانية حيث تؤدى عملية الاتصال التى تتطلب كلا من مرسل ومستقبل دوراً سيمانتيا هاما فى مناشط وحياة الفرد بأكملها .

وأما شيس Chase فقد وجد أن التمرينات الدلالية semantic exercises تعتبر الدواء الشافى من كل الأمراض حيث أن ذلك يتطلب توضيح كل من الموضوعات ، والأشياء ، والأسماء فى المجالات المختلفة كمجال القانون ، والاقتصاد ، والإدارة ، والاجتماع .

ويرى شيس أنه إذا أمكنا الوصول إلى تعريفات واضحة لتلك الموضوعات ، وطرحنا جانبا الألفاظ التى لا معنى لها ، يمكنا فى هذه الحالة أن نصل إلى حل المشكلات الاجتماعية .

وقد أوضحت دراسة كل من هايا كاوا Hayakawa ، ولى Lee شرح مبادىء العصبية الدلالية neuro-semantics .

وهكذا ، أسهم كتاب مدرسة كورزبسكى بالكشف عن بعض الجوانب النفسية الدالة التى كانت مجهولة من قبل .

وأما أصحاب المنطق الوضعى أمثال كارناب Carnap ، فنجده قد تناول السيمانتيك من حيث أنه أداة tool أو وسيلة معينة لاكتساب المعلومات وتنظيمها داخل نسق معين ؛ من حيث أن السيمانتيك هو بحث فى دلالات الألفاظ والعبارات ومعانيها . بمعنى دلالة اللفظ على مسماه ، وهذه الدلالة عبارة عن علاقة ما بين اللفظ وبين شىء أو موضوع آخر ليس هو اللفظ نفسه كما يعرف داخل حدود اللغة فمثلا : لفظ « الامتحان » يعرف داخل حدود اللغة بأنه عبارة عن أسئلة معينة تقيس تحصيل التلاميذ فى المواد التى درسوها ؛ بينما هذا اللفظ « خارج حدود اللغة » يحمل معانى ودلالات مختلفة لدى الأفراد .

وقد وجد شارل موريس Morris أن السيمانتيك وسيلة لاكتساب المعلومات ، وأن العلامات Signs أو المثيرات هى التى تمد الفرد بهذه المعلومات ، وأن الاهتمام بالعلاقات العامة ـ فى ذلك الحين ـ وطرق الاتصال بين الأفراد كان مثار الاهتمام بالسيمانتيك ؛ وبالتالى تركيز الانتباه حول عملية اختيار الألفاظ وترتيبها ، حتى يصبح هذا الاتصال أكثر فاعلية وقوة .

وحيثما أن اللفظ يرتبط ارتباطا قويا بالسلوك الإنسانى ، كانت اللغة ـ بوجه عام ـ هى الأساس المهيمن على هذا السلوك ، وهى المحرك الرئيسى الأول له والتى بها تتحقق الأهداف والرغبات .

تعريف السيمانتيك

إذا تتبعنا تعاريف السيمانتيك ، فإنا نجدها قد أشارت إليه على أنه : علم الدلالة أو المعنى ؛ متضمناً ذلك فى المصطلح « Semantics » كاسم « noun » .

كما أشارت إليه أيضاً كصفة « adjective » وذلك بالمصطلح Semantic من حيث أنه يرتبط بالدلالة والمعنى .

فقد عرف جود Good (١٩٤٥) السيمانتيك بأنه : « علم المعنى الذى يختلف اختلافاً تاماً مع علم الصوت » .

وعرف فى قاموس وبستر Webster (١٩٥٣) بأنه : « علم المعنى الذى يختلف تماماً مع علم الصوت ، والدراسة التاريخية والسيكولوجية للتغير فى معانى الكلمات وتصنيفها » .

كما عرف فى قاموس ونستون Winston (١٩٥٧) بأنه : « علم معانى الكلمات ، والنمو التاريخى لفهم وإدراك معانى الكلمات من حيث أنه يختلف تماماً مع علم الأصوات والسمعيات» .

تعريف انجليش وانجليش English & English (١٩٥٨) : « علم معانى الكلمات . وما يتعلق بالمعنى والدلالة » .

تعريف فورمان Foreman (١٩٦٨) : « علم الأثر الاجتماعى والنفسى للغة ، وعلم تصنيف التغير فى معانى الكلمات » .

ومن الملاحظ أن هذه التعاريف جميعها ، تشير إلى ضرورة التفرقة بين أمرين :

أولاً : علم الصوت وهو ما يعرف بالفونتيك Phonetics ، وهو يتعلق بدراسة النطق والسمعيات من حيث سماع صوت الكلمة نفسها واختلاف هذا الصوت من كلمة إلى أخرى .

ثانياً : علم السيمانتيك Semantics أو علم الدلالة والمعنى ، من حيث دراسة معانى الكلمات ، والتتبع التاريخى لتطور هذه المعانى ؛ والتغير الذى يحدث فيها ؛ ودراسة العلاقة بين المثيرات اللفظية « المرئية والمسموعة » وما تدل عليه هذه المثيرات .

ويلاحظ أن هذه التعاريف ـ عموماً ـ قد أشارت إلى أن السيمانتيك هو ما يرتبط بالدلالة والمعنى .

التعريف الإجرائى للسيمانتيك هو :

دلالة اللفظ ومعناه النفسى عند الفرد .

فالفرد يكون دلالات ألفاظ عديدة فى حياته ، تختلف وتتباين تبعاً لمقدار ونوعية الخبرة وطرق التعلم التى اكتسبها إزاءها .

لذلك تتمايز دلالة هذه الألفاظ ومعانيها النفسية لدى الفرد ، الذى يمكنه - بالتالى - التعبير عن ذلك بصور لفظية متمايزة .

obeikandl.com

السيمانتيك كمفهوم فلسفى

إن السيمانتيك كمفهوم فلسفى ، يدور حول الاختلاف القائم بين الطريقة التى يستخدم فيها اللفظ للتساؤل عما يتضمنه الشعور والإحساس . حيث يرى كوين Quine ، أن التحليل السيمانتى ليس المقصود به نظرية تمثل حقيقة العالم كما هو بالفعل ، إنما يقصد به كل ما يمكن أن يقال عن هذا العالم وما يتضمنه .

والفكرة الرئيسية فى هذا التحليل السيمانتى ، تقوم على أن الأسئلة التى يتناولها الأفراد فيما بينهم فى أحاديثهم اليومية ، إنما هى فى حقيقة الأمر تتضمن معانى سيمانتية يشعرون بها أثناء تناولها . وبالتالى يتنوع هذا الشعور ويتعدد بتعدد الأفراد فى مواجهة هذه الأسئلة وفيما يدور بينهم من أحاديث .

فمثلاً ، السؤال : « هل يوجد رجال على كوكب المريخ ؟ » .

إن هذا السؤال نفسه يحتوى على السيمانتيك بمعنى : أن السؤال يتضمن ما إذا كان الناس الذين يعيشون فى هذا الكوكب ليسوا فعلا حيوانات .

فاللفظ « حيوان » ، بهذا المعنى يمكن أن يتضمن معانى مختلفة ؛ وهو فى هذا المجال بالذات يمكن أن ينطبق على الإنسان من حيث أنه حيوان ناطق . ولذا فالمقصود من هذا اللفظ هو معناه الضمنى ، وليس معناه الإشارى ؛ بمعنى أن الناس الذين يعيشون فى هذا الكوكب عبارة عن حيوانات فعلاً .

وقد وجد باب Pap أن القضايا التى يتناولها الأفراد تتضمن نوعا من الاستخدامات الوظيفية التى تختلف من فرد لآخر . وقد أطلق عليها « المتغير الحر free variable » .

ورأى أن هذه الاستخدامات الوظيفية للقضايا لا تحتمل الصدق أو الكذب ، الصواب أو الخطأ ، وإنما يتوقف صدقها أو كذبها على الفرد ذاته . وفى الواقع ، يقوم الفرد بتحليل معانى القضية تحليلاً سيمانتيا حيث يعطى انطباعاته المباشرة نحو معانيها ، أى استبطان هذه المعانى .

ويرى الفلاسفة أن مفهوم المعنى يتضمن جوانب سيكولوچية معقدة ، ذات علاقات متشابكة بالنسبة إلى الأفراد ؛ تؤدى بدورها إلى حدوث تصنيفات مختلفة بالنسبة إلى المفهوم الواحد ، الذى تظهر دلالته مرتبطة بخط سيكولوچى طويل معقد يتضمن أموراً ومواقف متباينة من حيث المحتوى والمضمون .

وقد أوضح ويتهد Whitehead المفهوم السيمانتى من حيث أن اللفظ الواحد عند الفرد يتضمن قيمة value معينة بالنسبة إلى موضوع أو شيء ما .

والقيمة عبارة عن خاصة أو صفة لهذا الموضوع أو الشيء . فالجمال مثلاً عبارة عن قيمة من القيم الجمالية ، فقولنا : أزهار الحديقة متفتحة ؛ وغروب الشمس جميل . فإن ذلك يتضمن قيمة جمالية معينة أى صفة أو خاصة يصف بها الفرد شعوره نحو هذا الموضوع .

obeikandl.com

السيمانتيك كمفهوم سيكولوجى

يختلف السلوك اللفظى اختلافا تاما عند الأفراد بالنسبة إلى الأشياء والمفاهيم ، فاستجابة الفرد ـ فى حقيقة الأمر ـ تكون بالنسبة إلى المعانى التى يراها هو مناسبة لهذا المفهوم أو ذاك . ومن هنا ينشأ الاختلاف فى السلوك اللفظى عند فرد وآخر لأن كلا منهما يفترض أن ما يراه هو حقيقة الأشياء والموضوعات .

وفى الواقع ـ هذه المعانى لا تعبر عن الحقيقة ذاتها ، حيث أن المعنى الذى يراه الفرد شىء ؛ والواقع الخارجى شىء آخر يختلف عنه تماماً .

ولذلك تختلف الألفاظ عن الواقع تماماً ، ومثل ذلك كمثل التمثال الذى يمثل شخصية ما ، فالتمثال شىء يختلف تماماً عن الشخصية ذاتها حيث يعبر عنها بقدر ، وليس ينطبق عليها تمام الانطباق من كل جوانبها وتفاصيلها .

وكذلك الحال بالنسبة إلى الخرائط الجغرافية ، فهى تعطينا وصفاً للأقاليم المختلفة ، لا يمكن القول بأنه وصف غير دقيق لتلك الأقاليم ؛ إلا أن الأمر مختلف تماماً فى الواقع الفعلى ، فالخرائط والأقاليم ليست شيئاً واحدا تماماً .

وفى الحياة اليومية للأفراد ، يلاحظ أنهم يستخدمون ألفاظاً لا تعبر عن المعنى الحقيقى كما هو فى الواقع تماماً . فمثلا : عبارة « الجو حار » لا تعبر عن قراءة درجة الحرارة الراهنة كما هى بالفعل ، أى كحقيقة علمية ؛ وإنما تعبر عن حالة الفرد التى يشعر بها هو ذاته بالنسبة إلى حرارة الجو ، وبالتالى يعبر عنه بمعنى معين ينطبق عليه هو ، ولا ينطبق على فرد آخر .

وقد وجد والبول Walpole ، أن سيمانتيك اللفظ يمكن أن يتحدد بنوع من الأسئلة التى تثار حول هذا اللفظ ؛ وتتفق تلك الفكرة مع الطريقة التى اتبعها سقراط للوصول إلى الأفكار الحقيقية عند الأفراد بالنسبة إلى موضوعات مختلفة ، حيث قامت هذه الطريقة على أسئلة ومناقشات فلسفية معينة .

ويرى أجدن وريتشارد Ogden & Richards ، أن اللفظ الذى يستخدمه الفرد يتميز بدلالة معينة لديه قد تختلف عن دلالته عند فرد آخر . ولذلك فإنه عند استخدام الألفاظ يجب أن يتمثل بوضوح فى ذهن من يستخدمها ما تستند إليه فعلا هذه الألفاظ حتى يكون الاتصال والتفاهم بين الأفراد اتصالاً حقيقياً ، وحتى لا يحدث الخلط والخطأ فيما تستند إليه أصلا هذه الألفاظ .

وتدلنا دراسات ويتهد Whitehead ، أن اللفظ يحمل جانبين من المعنى : أحدهما المعنى الإشارى أو الحرفى وهو الذى يشير إلى ما يتضمنه اللفظ من صفات واستخدامات لا تختلف من فرد لآخر ، ولا من مجتمع لآخر ، حيث يتمثل ذلك فى المعانى القاموسية عموما التى تتناول الشرح والتفسير الموضوعى للفظ من جميع نواحيه .

كما يتمثل هذا المعنى الإشارى أيضاً ، فى العلوم والرياضيات حيث المفاهيم والمصطلحات موضوعية بحتة تتجنب أى معان انفعالية نفسية ذاتية .

وأما الجانب الآخر من المعنى فهو : المعنى الضمنى أو النفسى ، ويشير إلى ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد ، فهو بذلك معنى فردى ذاتى ، وبالتالى يعتبر معنى مقيدا بالنسبة إلى متحدث واحد فقط ، لا يتميز بالعمومية ولا التداول بين الأفراد جميعاً .

ويظهر هذا المعنى بوضوح فى الأحاديث العادية للأفراد ، وكذلك فى كتابات الكتاب ، وأشعار الشعراء حيث تنعكس المعانى النفسية الذاتية بصورة واضحة قوية تجاه الألفاظ والمفاهيم المتباينة .

ويتبين لنا من دراسات فيجوتسكى Vygotsky ، أنه أشار إلى وجود مظهرين رئيسيين يميزان أحاديث الأفراد هما : المظهر السيمانتى للفظ ؛ والمظهر الصوتى أو المعنى الإشارى للفظ .

ويتم نمو هذين المظهرين من المعنى بالنسبة إلى الطفل فى اتجاهين متضادين : أحدهما يبدأ من الخاص الجزئى إلى العام الكلى ، أى من الكلمة إلى الجملة . وهذا هو المظهر الصوتى أو المعنى الإشارى للفظ حيث فيه تزداد حصيلة الطفل اللغوية شيئاً فشيئاً ، حتى يمكنه فى النهاية استخدام الجمل مبتدئا من الجمل البسيطة إلى الجمل المعقدة .

وأما المظهر الآخر للمعنى ، فيبدأ من الكلى إلى الجزئى ، أى من الجملة إلى الكلمة .

وهذا ما يطلق عليه : المظهر السيمانتى للفظ ، حيث فيه يبدأ الطفل بتعلم الكليات ثم الجزئيات ، فأول لفظ ينطقه الطفل يعتبر فى حقيقة الأمر ـ جملة كلية . فلفظ « بابا » ليس مجرد مقاطع صوتية بحتة ، وإنما يحمل معانى معقدة لديه .

ويمثل لنا هايا كاوا Hayakawa ، مظهرى المعنى تمثيلا طريفا نعرضه فى العبارات التالية :

إن الفرد يمكنه التعبير عن المعنى النفسى للفظ ، حتى فى حالة وضعه يديه فوق عينيه ، وترك الألفاظ تدور فى رأسه حول موضوع أو مفهوم معين .

إلا أن الحال يختلف بالنسبة إلى المعنى الإشارى ، حيث يمكن للفرد أن يضع يديه فوق فمه ويشير إلى الشيء أو الموضوع فقط .

ولذلك ، فإن المناقشات والأحاديث حينما يكون لها نهاية بين الأفراد ، تؤدى بهم إلى اتفاق فيما يتناقشون ، يعتبر ذلك هو المعنى الإشارى .

أما إذا استمرت هذه المناقشات إلى ما لا نهاية ، وعدم اتفاق فيما يتناقشون ، فإن هذه الحالة تعتبر هى المعنى النفسى للألفاظ .

وقد أشار سكينر Skinner ، إلى المعنى الإشارى بأنه : « العبارة الوصفية التى تشير إلى موضوع بأكمله » . فمثلا : عبارة « فقرى » تشير إلى الفقريات بأكملها .

كما أشار أيضا إلى المعنى الضمنى بأنه : « العبارة الوصفية التى تتضمن خواص معينة وتستغرق موضوعاً بأكمله » . فمثلا : عبارة « فقرى » تتضمن خواص معينة كخاصة العمود الفقرى وغير ذلك من خواص « المفهوم » كالجنس والنوع والفصل .

وهكذا ، نرى أن المعنى الذى يراه الفرد شيء ، والواقع الخارجى شيء آخر . وأن القواميس ودوائر المعارف تحمل للألفاظ تعاريف ؛ بينما يحمل الأفراد لها مضامين ، ويمكن القول بأن المضامين هى التى تؤثر فى التفكير وتتحكم فى السلوك .

* * *